التنافس الدولي على مصادر الطاقة في منطقة القوقاز ودول بحر قزوين وانعكاساته على المنطقة العربية

المدرس الدكتور

عمر عبدالله عفتان

كلية بلاد الرافدين

THE INTERNATIONAL COMPETE ON ENERGY SOURCES IN CAUCASUS REGION AND CASPIAN SEA COUNTRIES AND ITS REFLECTIONS ON THE ARAB AREA

Abstract

Caucasus area consider as a part of important energy in the world that's why its contain oil storage and because of disintegration of the soviet union these countries founded which got freedom from all dominance of external forces, but although remained with the relation of these forces by geography, economic, politics and cultural, and these countries realize what Caspian sea has and the dangerous surrounded by it, and realizes it main internal national interest in this area which may has been dangerous exposed, the game became geopolitical which discover its features with the trying of foreign countries to get influence on Caspian sea, and these countries which coming from outside trying in the sometime to protect itself from any possible threats on its security from any side of the region. The biggest game in the conflict on the energy and focuse on energy spare in the Caucasus area.

المقدمة

منذ مطلع تسعينيات القرن المنصرم بدء الحديث عن تحول دول القوقاز ودول بحر قزوين، إلى احد اللاعبين الأساسين على ساحة الطاقة العالمية، اذ أظهرت التوقعات التي قامت بها مراكز الأبحاث والشركات الغربية إن احتياطات النفط والغاز الطبيعي في هذه قد تساوي الاحتياطات الموجودة في دول الخليج العربي.إذ أشارت التقارير الخاصة بشؤون الطاقة إلى إن مجمل احتياطات النفط في هذه الدول يتراوح ما بين (١٥ – ٣١) مليار برميل في حين يصل الاحتياطي المحتمل إلى (١٤٤) مليار برميل.ومع نشوء دول جديدة في هذه المنطقة الذي ادى بدوره لنشوء وضع قانوني جديد باعتبار البحر دولياً وليس داخلياً كما تريد (روسيا وايران).وعلى الرغم من الأهمية الاقتصادية لها، إلا أن الصراع على هذه المنطقة لا يقتصر على هذه النقطة، فالتنافس الدولي هنالك اخذ بعداً آخر بعد إحداث ١١ أيلول – سبتمبر سنة ٢٠٠١م، والغزو الأمريكي لأفغانستان، الأمر الذي أضاف إبعاداً جديدة للنزاع في المنطقة، لتكتمل معها عناصر اللعبة الكبرى الجديدة التي تشمل بالإضافة إلى روسيا والولايات المتحدة الأمريكية العديد من القوى الأخرى.إلى الحديث والنظر إلى هذا النزاع من جانبه النفطي.

اهمية الدراسة :

برزت على سطح الأحداث السياسية في العالم اليوم مشكلة التنافس الدولي والاقليمي على منطقة القوقاز وبحر قزوين. وهذه المشكلة ليست قديمة، ولكنها؛ طفت على الساحة الثمانيات من العقد الماضي، وتمتاز هذه الدول بعدة خصائص منها ماهو جغرافي واخر اقتصادي ولا ننسى الاهمية السياسية ايضا؛ وذلك لما تمتلكه هذه الدول من مقومات كثيرة ياتي في مقدمتها النفط.

مشكلة الدراسة :

اصبحت دولهذه المنطقة مختلفة مع بعضها على الأساس القانوني لتقسيم ثرواتها، الامر الذي ولد لدى الدول الكبرى الى التغلل فيها وزيادة حدة التنافس عليها.

اسئلة الدراسة :

١) ما هي مصادر هذا الصراع؟
٢) ما هو حجم الدور الروسي في هذه المنطقة؟
٣) ما مدى النفوذ الامريكي في هذه المنطقة.

منهجية الدراسة :

سوف نستخدم خلال دراستنا هذه عدة مناهج هي:

١) المنهج المقارن.
٢) المنهج التاريخي.
٣) منهج التحليل النظمي.

المطلب الأول مصادر الطاقة في منطقة القوقاز ودول بحر قزوين

تعتبر منطقة القوقاز أحد مصادر الطاقة المهمة في العالم وذلك لمل تحتويه من خزين نفطي سنتناوله في هذا المبحث الأمر الذي جعل هذه المنطقة ذات أهمية سياسية وأقتصادية[١].

أولا : تاريخ النفط في منطقة القوقاز ودول بحر قزوين.

إن استخراج النفط في منطقة بحر قزوين ليس أمرًا جديدًا كما قد يبدو، بل تعود بداياته على قرون غابرة، فقد جاء في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي تحت عنوان "باكو عاصمة أذربيجان " أنها (بلد فيها عين نفط عظيمة تبلغ قبالتها في كل يوم ألف درهم، وإلى جانبها عين أخرى تسيل بنفط أبيض كدهن الزنبق لا تنقطع ليلا نهارًا تبلغ قبالتها مثل الأول، وحدثني من أثق بهم من التجار أنه رأى هناك أرضًا لا تزال تضطرم نارًا، وأحسب أن نارًا سقطت فيه من بعض الناس بشكل مستمر فهي لا تنطفئ لأن مادتها معدنية)، وبسبب اشتعال النار بشكل مستمر فقد سميت" بأذر "وتعني في اللغة الفارسية أرض النار، وجاء في كتاب عجائب المخلوقات للقزويني أن الخلافة العباسية قد خصصت وزيرًا لشؤون النفط منذ القرن الثالث الهجري، وذكر الجغرافي" عبد الرشيد الباكوي "أنه كان يستخرج من حقول باكو حمل ٢٠ بغلا من النفط يوميًا، وتشهد كتب التاريخ بحركة تجارية في المنطقة تمركزت حول استخراج النفط وبيعه[2].

ولعل الرغبة في الوصول إلى منابع النفط كانت أحد أسباب التوسع الروسي نحو الجنوب في عهد" بطرس الأكبر "في بداية القرن الثامن عشر، ويؤكد التاريخ الحديث أهمية النفط في القوقاز وبالتحديد في منطقة باكو، وظهر فيما بعد تنافس مستثمرون أوربيون وآخرون من أرمينيا وروسيا على حق استغلال النفط، وبسبب النفط اجتذبت أذربيجان العمالة الروسية والإيرانية وكذلك الدول المجاورة، كما تشهد بأهمية نفط منطقة بحر قزوين أحداث الحرب العالمية الثانية حين توجهت القوات الألمانية نحو القوقاز رغبة في السيطرة على حقول النفط وقطع إمداداته عن الجيش السوفيتي. لقد حدث التحول الجذري في صناعة النفط في منطقة بحر قزوين في السبعينات من القرن التاسع عشر، حيث بدأ الإنتاج بكميات تجارية وخلال فترة قصيرة أصبحت باكو المنتج الأول للنفط في العالم، وعلى الرغم من تراجع انتاج النفط خلال الحرب العالمية الثانية إلا أن نفط قزوين بقي مهمًا في الإنتاج السوفيتي وذلك يعود إلى نوعيته الجيدة، وكان للنفط دورًا مهمًا في جعل باكو أكبر مدن القوقاز، وأصبحت مركزًا صناعيًا وتجاريًا، وكان النفط الأذري يصدر إلى الأسواق العالمية عبر أنابيب تصب في ميناء باتومي "في جورجيا ومن ثم يتم نقله بالناقلات عبر البحر الأسود[3]. بالإضافة إلى النفط كانت أذربيجان المصدر الوحيد للغاز الطبيعي في الاتحاد السوفيتي حتى الحرب العالمية الثانية، وبسبب تلك الثروات الطبيعية أصبحت منطقة القوقاز مركزًا مهمًا للصناعات البتروكيمياوية في الاتحاد السوفيتي وفي آسيا الوسطى. قبل سنوات عدة أي قبل تفكك الاتحاد السوفيتي كانت المساحات الواقعة على جانبي بحر قزوين وتضم آسيا الوسطى إلى الشرق ومنطقة القوقاز إلى الغرب غير معروفة، فقد كانت هذه الأقاليم محافظات في الإمبراطورية السوفيتية، ولم تكن تحظى بأي أهمية سياسة أو اقتصادية لدى العالم الخارجي، أما اليوم فقد تغيرت الظروف حول منطقة بحر قزوين إذ نالت ثماني دول مغمورة استقلالها فجأة عام ١٩٩١ مع تفكك الاتحاد السوفيتي، ومنذ ذلك الوقت استقطبت بعض هذه الدول الجديدة قدرًا متزايدًا من اهتمام الحكومات والقطاع الخاص، ودوائر السياسة الدولية، ووسائل الإعلام ويرجع هذا التصاعد في الأهمية النسبية لقلة دول منطقة بحر قزوين بصفة رئيسية أذربيجان وكازاخستان وتركمنستان إلى وجود النفط والغاز بدرجة كبيرة فيها، وبالنسبة إلى شركات الطاقة الدولية التي كانت تبحث عن مناطق جديدة، ظهر بحر قزوين للمرة الأولى في أثناء السنوات الأخيرة من الحقبة السوفيتية، وكان الاهتمام التجاري بنفط بحر قزوين له تأثيرًا واضحًا في مواقف الدول الأجنبية تجاه المنطقة وأبرزها الولايات المتحدة الأمريكية حيث أعطى المخزون النفطي المحتمل أهمية سياسية واقتصادية لمنطقة بحر قزوين.ومع تفكك الاتحاد السوفيتي وجدت دول المنطقة التي استقلت حديثًا أنها قد تحررت من كل أشكال هيمنة القوى الخارجية، لكنها على الرغم من ذلك ظلت ترتبط بهذه القوى بطرق شتى تشمل الجغرافيا، والاقتصاد، والسياسة، والثقافة، وتدرك هذه الدول المتجاورة الفرص التي تعد بها منطقة بحر قزوين والمخاطر المحيطة بها، كما أدركت كل منها مصالحها القومية الأساسية في المنطقة التي يمكن أن تتعرض للخطر، فقد أضحت اللعبة الجيوسياسية التي تكشفت معالمها مع محاولة الدول الأجنبية الحصول على نفوذ في منطقة بحر قزوين، وحرص هذه الدول القادمة من الخارج في الوقت نفسه على حماية نفسها من أي تهديدات محتملة على أمنها من قبل أي جهات في المنطقة.أن اللعبة الكبرى في الصراع على الطاقة والتركيز على أحتياطي الطاقة في منطقة قزوين[4]. إن احتياطات النفط في منطقة بحر قزوين في جمهوريات أذربيجان وكازاخستان٣٠ مليار برميل، وهي وحدها سوف تجعل منطقة وتركمانستان تقدر بحوالي مابين ٢٥ بحر قزوين قابلة للمقارنة مع نفط بحر الشمال، فهناك حقلان هما حقل" تنجيز "في كازاخستان، وحقول" أذري –شيراج– جوناشلي "الضخمة في أذربيجان يصنفان ضمن الحقول العالمية العملاقة، إذ لكل منهما احتياطيات في حدود خمسة مليارات برميل[5] كما أن هناك كميات ضخمة من المخزون لم يتم استكشافها، ويرى معظم الجيولوجيين الذين يعرفون المنطقة أن تقديرات الكمية القصوى من قاعدة الاحتياطيات النفطية في منطقة بحر قزوين تفوق بكثير عن الاحتياطي المؤكد.

أما عن بحر قزوين فهو مسطح مائي مغلق يطل عليه كل من ايران وروسيا و واذربيجان وتركمانستان.

وتأتي أهمية المنطقة كونها مصدرًا مهمًا من مصادر الطاقة، اذ يحتوي على مخزون هائل لم يتم استخراجه لغاية الان[٦]، الامر الذي ولد تنافس شديد بين الدول الكبرى من الاستثمار هنالك للهيمنة على تلك الثروة، وفي ذات الوقت يتعرض البحر لتنافس قوى دولية عظمى تمثلها الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، وقوتان أقل حجما هما تركيا وإيران، ويحوي بحر قزوين على ٤ أحواض ترسيبية رئيسية تحوي معظمها على خزانات النفط والغاز الطبيعي، ولا تزال غالبية هذه الأحواض وخاصة البعيدة منها عن خط الساحل وفي قاع البحر)١ (دون استغلال لأسباب تقنية وخلافات بين الدول المشاطئة للبحر، ٣٤ بليون برميل، بينما تصل تقديراتها – وتتراوح احتياطي المؤكد من النفط بين ١٨ إدارة معلومات EIA ٢٧٠ بليون برميل حسب تقديرات / للاحتياطي المحتمل إلى ٢٥٠ الطاقة الأمريكية عام ٢٠٠٢ ، وتمثل هذه التقديرات ثلث احتياطي نفط الشرق الأوسط، وتفوق بنحو الضعف على الاحتياطي المؤكد لنفط لبحر الشمال البالغ ١٧ بليون برميل، كما تفوق الاحتياطي المؤكد للولايات المتحدة الأمريكية البالغ ٢٢ بليون برميل، وفيما يخص الغاز الطبيعي فيبلغ الاحتياطي المؤكد نحو ١٧٠ تريلون قدم مكعب، ومن٢٨٤ تريليون قدم مكعب ولدى اوزبكستان ٦٦ تريليون قدم – الاحتياطي المحتمل بين ٢٤٣ مكعب من الاحتياطي المؤكد للغاز الطبيعي.

ثانيا : خطوط انابيب النفط والغاز القوقاز.

١) **باكو –تبليسي– جيها:** وهو خط أنابيب نفط مملوك لكونسرتيوم تقوده شركة بريتش نفطيوم البريطانية يضخ ١،٢ مليون برميل يوميا. خط غاز جنوب القوقاز :وهو خط يبدأ من باكو إلى تبليسي، وينتهي في أردروم بطول ٦٩٢ كم يصب في محطة توزيع الغاز التركية، ويضخ ٢٠ مليار متر مكعب سنويا.

٢) **باكو –سوبساظ:** وهو انبوب نفطي بطول ٨٣٠ كم يعمل منذ عام ١٩٩٩ ، ويضخ ١٤٥ألف برميل يوميا.

٣) **باكو –نوفوروسيسك** :وهو أنبوب نفطي بقدرة ١٠٠ ألف برميل يوميا لا يعمل بكامل طاقته بسبب النزاع بين روسيا وجورجيا يمتد الخط بطول ١٣٣٠ كم موزعًا بين جورجيا ٢٣٠ (كم وروسيا) ١١٠٠ (كم)[7].

ثالثا : عوائق تصدير النفطر والغاز من دول بحر قزوين.

لا تقتصر المشكلات التي تواجه ثروات بحر قزوين على الاختلاف حول حجم الاحتياطي، ومن ثم أهميتها بالنسبة للأسواق العالمية، بل تتجاوز ذلك إلى مسألة تكاليف الإنتاج والتصدير حيث تؤكد الدراسات على أن تكلفة إنتاج البرميل في منطقة بحر قزوين تصل إلى(٦) دولارات بالمقارنة مع منطقة الخليج العربي، حيث لاتتجاوز التكلفة دولارًا واحدًا، وتواجه هذه الثروات في منطقة بحر قزوين صعوبات لا يسهل تجاوزها منها:

١) **الوضع القانوني لدول بحر قزوين.**

إن الخلاف القانوني يدفع الدول المتشاطئة ازاء حالة قزوين هل يعد بحرًا أم بحير، حيث يترتب على هذا المفهوم نتائج تخص حالة الاستغلال للمصادر الطاقة فيه، فالحديث باعتبار قزوين يعد بحرًا يعني في ظل القانون الدولي أن كل دول المتشاطئة لها كامل الحق بصورة منفردة باستغلال الثروات التي يحتويها ، وفقًا لقانون البحار لسنة ١٩٨٢م، الذي يمنح كل دولة حق ممارسة سيادتها على مياهيها الإقليمية، وأن تستغل ما فيها من ثروات.

أما في حالة اعتبار قزوين بحيرة، فيترتيب على ذلك حق جميع الدول المتشاطئة استغلال مياه البحيرة وجميع ما تحتويه من ثروات والدول المتشاطئة هي (روسيا– إيران – تركماستان –كازاخستان وأذربيجان) .

وهذا ما تسبب في خلاف قانوني بينهم، اذ تقسوا الى فريقين اول: يضم أذربيجان وكازاخستان تؤكدان أن قزوين يعد بحرًا مما يعني تقسيمه إلى مياها إقليمية، والفريق الثانية: يضم كل من إيران وروسيا وتركمانستان وترى أن قزوين بحيرة، وهنا يعني أن جميع الدول المتشاطئة فيه تشترك في الحق استمثار ثرواته بالتساوي.

٢) **التنافس على خطوط الانابيب.**

تواجه منطقة بحر قزوين مشكلة نقل ثرواتها إلى الأسواق العالمية حيث تعد المنطقة حبيسه لا تطل على بحار أو محيطات[٨]، وبسبب ذلك فنها فإن بحاجة إلى بناء خطوط أنابيب نصلها بدول العالم، لنقل ثرواتها إلى الدول المستهكلة وخاصة الدول الاوربية منها،الامر الذي ولد الى نشوء حدة في التنافس بين الدول المجاورة لها، وذلك من اجل السيطرة على خط نقل الطاقة عبر اراضيها، لما فيه من فائدة اقتصادية[٩]، هذا بالاضافة الى المكاسب الاخرى والتي ياتي في مقدمتها العامل السياسي والاستراتيجي[١٠] ، ولهذا فقد دخلت امريكا لهذا التنافس واضحت

الطرف الرئيسي في موضوع خطوط الانابيب، على الرغم من أن أذربيجان وقاراخستان وتركمانستان تنقل ثرواتها عبر أنابيب تمر من خلال الأراضي الروسية التي تم بناؤها ابان الاتحاد السوفيتي، إلا أن القدرة التصديرية لتلك الأنابيب محدودة بالمقارنة بمت هو متوقع من الانتاج، ورغبة الدول المستقلة من التحرر من التبعية لموسكو، بالإضافة إلى الأهداف الإستراتيجية الأمريكية التي دفعت تلك الدول للبحث عن بدائل جديدة لنقل ثرواتها مما نتج عنه طرح العديد من مشروعات الأنابيب .

٣) الوضع السياسي والامني.

تعد الصراعات السياسية في منطقة القوقاز عائقًا مهمًا أمام مشروعات النفط والغاز في بحر قزوين، وتعيش المنطقة حالة توتر منذ تفكك الاتحاد السوفيتي نتيجة صراعات تجسد التناقض الذي تعيشه دول المنطقة بين رغبة النخب التي تمثل الغالبية في بناء الدولة والمحافظة على وحدتها، وبين طموحات الأقليات التي تسعى إلى خلق كيانات تعبر عن تميزها العرقي والديني والثقافي، وتشمل هذه الصراعات النزاع الأذري –الأرمني حول إقليم ناقورنو –كارباخ، والمساعي الشيشانية للاستقلال من روسيا والصراع بين جورجيا وأقليتها في أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية واجاريا والحرب

الأخيرة بين روسيا وجورجيا[١١] تمثل هذه الصراعات العرقية تحديًا رئيسيًا لدول القوقاز، واستمرارها دون حل قد يكون عامل تهديد لكثير من مشروعات النفط والغاز في منطقة قزوين خاصة المشروعات المتعلقة بمسألة الأنابيب.

المطلب الثاني امن الطاقة في القوقاز

أولا : امن الطاقة الروسي.تعد الطاقة بصورة عامة ، وتأمين الحصول عليها بصورة خاصة من أهم العوامل التي ترسم استراتيجيات الدول الكبرى، فمع تزايد الحاجة العالمية عليها، والتنافس للسيطرة على مصادرها,, واحتمالية نفاذها في عالم تحكمه العولمة ، لا يستبعد الخبراء أن تكون الطاقة مستقبلا مصدرا للازمات[١٢]، كما أن امتلاكها يعد من مقايس القوة مثال على ذلط قطر اذ تجاوزت المعايير القديمة للقوة كالجغرافية والسكان، وفي ضوء هذه المعطيات نجد روسيا حاليا لم تعد قوة سياسية وعسكرية، الا انها نجحت في ان تكون مورد مهم للطاقة، الامر الذي عزز من مكانتها وأهميتها الاقتصادية والسياسية على الساحة الدولية[١٣].ولكن نجد من طرف اخر بروز مخاوف لدى الدول الاوربية من توظيف روسيا هذه المسالة للحصول على مكاسب اقتصادية وسياسية على حسابها. لذلك تعمل دول الاتحاد الأوربي إلى التخلص من التبعية النفطية لروسيا، وتبني استراتيجية نفطية مغايرة.كما كشفت موسكو عن بنود وثيقة تحدد ملامح سياسة إستراتيجية الأمن القومي الروسي حتى سنة ٢٠٢٠ ، وتضمنت الوثيقة تنبؤات مظلمة إذ عبرت على أن الكرة الارضية ستشهد حروبًا على مصادر الطاقة بعد عدة سنين مؤكدة ضرورة أن تمضي روسيا بتطوير قدراتها العسكرية والنووية وبسط نفوذها في الفضاء السوفيتي السابق وتزامن نشر هذه الوثيقة مع تأكيد الرئيس الروسي السابق "ديمتري ميدفيديف "أن بلاده ستدافع عن مصالحها بكل الطرق، وستلجأ إلى القوة إذا لزم الأمر، وحذرت الوثيقة من أن السنوات المقبلة ستشهد صراعات وحروبًا على موارد الطاقة معتبرة أن الصراع على مصادر الطاقة سيشهد استخدام القوة العسكرية مع احتمالات كبيرة لانتهاك موازين القوى الإقليمية، كما شددت على أن الحروب ستندلع قرب حدود روسيا، أو حدود حلفائها، ورجح واضعو الوثيقة بتنامي التوتر في مناطق مضطربة، أو مرشحة للدخول في مرحلة اضطرابات مثل بلدان في آسيا، وافريقيا، وشبه الجزيرة الكورية، وكذلك في أفغانستان والعراق[١٤] أمن الطاقة بالنسبة إلى روسيا وضرورة السيطرة على خطوط نقل النفط والغاز من آسيا الوسطى وبحر قزوين عبر الموانئ الجورجية على البحر الأسود إلى أوربا وضمان بقائها تحت النفوذ الروسي، فالصراع الدولي الحالي والمستقبلي هو صراع على مصادر الطاقة وتحديدًا النفط والغاز الطبيعي وإزاء النفوذ النفطي لروسيا في الأسواق الأوروبية أعلن الاتحاد الأوروبي مرارًا وتكرارًا عزمه تقليص دور شركة غاز بروم الروسية في إمداد أوروبا بالغاز من خلال اللجوء إلى مصادر أخرى من آسيا الوسطى والقوقاز وإيرا، وتعتبر أذربيجان أقوى المنافسين لروسيا في هذا الصدد حيث تم إنشاء خط أنابيب الغاز باكو –تلبيسي –جيهان للنقل، ليس فقط الغاز الأذري، ولكن القازاقي والتركماني أيضا من ميناء جيهان التركي عبر الأراضي الجورجية إلى أوروبا، وقد أُنشيء هذا الخط بدعم أمريكي رغم المعارضة الروسية القوية له، وقد تردد أن روسيا قامت بقصفه خلال الأزمة الأخيرة في أوسيتيا وهو ما نفته روسيا ولاشك فإن روسيا تهدف إلى تأكيد وجودها ونفوذها في المنطقة وتسعى إلى أن تكون محور رئيسي في أي مشاريع مستقبلية لنقل الطاقة عبر أراضيها أوعلى أقل تقدير بالتنسيق معها.

ثانيا : امن الطاقة الأوربي.إن الصراع في القوقاز يبدو أساسه اقتصادي وتلعب فيه الطاقة الدور الرئيسي بدءا من تطورات الأزمة، فمصادر الطاقة بالفعل عامل حاسم في الأزمة بين روسيا والعرب عامة، وفي منطقة القوقاز خاصة، وربما هذا ما جعل أوربا في قمة الاتحاد الأوربي

لا يصعد الأزمة بشدة تجاه روسيا، أو تفرض عقوبات عليها، كما نادي بعض المغالين ذلك أن مسالة اعتماد أوربا المتزايد على مصادر الطاقة الروسية لا يمكن إغفالها ويصعب تجاوزها[١٥].وهذا ما دعا مفوض الطاقة الأوربي" اندريس بيبالغس "إلى التصريح بضرورة الاهتمام بتقليل الاعتماد على الطاقة من روسيا، وحاول إحياء مشروع خط أنابيب" نابكو" الذي دخل حالة فشل حتى قبل الصراع في جورجيا لأسباب مالية واقتصادية، وأكد مفوض الطاقة أنه يرى ضرورة بناء الخط قائلا " إن تنويع مصادر الطاقة وطرق وصولها إلى أوربا أكثر أهمية الآن"، وأيده في رأيه" نابوتاناكا "المدير التنفيذي لوكالة الطاقة الدولية مشيرًا إلى أن خط" نابوكو "يسهم في تعزيز أمن الطاقة الأوربي وتقليل الاعتماد على إمدادات الطاقة من روسيا، ومشروع خط أنابيب" نابوكو "الذي قدرت كلفته بحوالي ١٢ مليار دولار والممتد بطول ٣٣٠٠ كم من أذربيجان إلى أوربا عن طريق جورجيا وتركيا مطروح منذ مدة كوسيلة لنقل الطاقة من حوض بحر قزوين إلى أوربا بعيدًا عن روسيا، وهو أيضا توصيل نفط وغاز الشرق الأوسط إلى أوربا عبر العراق[١٦].كما تشير الإحصاءات إلى أن روسيا تمد أوربا بنسبة ٤٢ % من واردتها من الغاز، و ٣٠ % من وارداتها من النفط وتصل نسبة واردات الطاقة من روسيا في بعض دول الاتحاد الأوربي إلى ٨٠ % من أجمالي وارداتها من الطاقة، في المقابل فإن روسيا تصدر نحو ٧٠ % من صادرات النفط والغاز إلى دول الاتحاد الأوربي، وذلك لأن الاعتماد المتبادل على مجال الطاقة كافٍ لجعل الحسابات السياسية والعسكرية أكثر حذرًا في أي صراع بين القوتين روسيا وأوربا. إن تصاعد الأزمة الروسية – الأوكرانية يهدد أمن الطاقة الأوربي بشأن إمدادات الغاز، وقد يشكل تهديًا خطيرًا لأمن أوربا، حيث يسهم الغاز الروسي في تغطية نحو ٣٠ % من احتياجات دول الاتحاد الأوربي، وكانت روسيا أوقفت إمدادات الغاز الطبيعي إلى أوكرانيا في الأول من يناير ٢٠٠٩ بعد إخفاق مباحثات عقدتها بشأن دين متعلق بحق الغاز مترتب على كييف يبلغ ملياري دولار[١٧].وتعكس هذه التطورات الطابع الهش الفعلي للاتحاد الأوربي في مجال التزود بالغاز بشكل خاص، وفي محل الاعتماد على مصادر خارجية في قطاع الطاقة بشكل عام، فخوف بعض بلدان الاتحاد الأوربي من تسييس النزاع رغم أن كل من ألمانيا وايطاليا والنمسا يعتمدون بشكل حيوي على إمدادات الغاز الروسية، ورفضوا وجود أي ربط بين الجانب السياسي والجانب التجاري، وتطالب الدول الشرقية حاليًا بتضمين اتفاقيات الوحدة الأوربية والمعاهدات الاتحادية بنودًا صريحة وواضحة تنص على إبداء تضامن فعلي وعملي مع أية دولة عضو تواجه إشكاليات ومتاعب في التزود بالطاقة، وترفض الدول الكبرى داخل التكتل مثل فرنسا وألمانيا المسيطرة على سوق الطاقة الأوربية هذا الخيار وتعتبر إدارة قطاع الطاقة شأن يتعلق بالسيادة الوطنية لكل دولة.

المطلب الثالث التنافس على مصادر الطاقة في القوقاز ودول بحر قزوين

حظيت هذه المناطق باهتمام عالمي كبير منذ بداية التسعينات، حيث سعى عدد كبير من الدول إلى إقامة علاقات دبلوماسية وتجارية مع الجمهوريات الجديدة، وتسبب استقلال تلك الدول في بدء حركة تنافس شاركت فيها أطراف إقليمية ودولية سعت إلى الاستفادة من حالة الفراغ الإستراتيجي الناجم عن تفكك الاتحاد السوفيتي، ومن الاستفادة من الثروات الطبيعية، وقد أسهم في حالة التنافس والتسابق على استغلال تلك الثروات التقديرات الأولية لها التي اتسمت بالمبالغة، وتحدثت عن ظهور بديل للخليج العربي يكون مصدرًا للنفط والغاز الطبيعي، وقد بدأت لعبة التنافس على الجمهوريات الجديدة قبل تفكك انهيار التحاد السوفيتي نتيجة لإرتخاء السلطة السوفيتية المركزية وانفتاح هذه الجمهوريات على العالم الخارجي في نهاية الثمانينات، وقد تعزز هذا الاتجاه بعد تفكك الاتحاد السوفيتي حيث سعت قوى إقليمية في مقدمتها تركيا وإيران محاولة احتواء الجمهوريات الجديدة، واستغلال ما يتوفر لها من روابط وصلات تاريخية ولغوية وثقافية وجغرافية لتعزيز فرص وجودها، وسعت إلى إقامة مؤسسات إقليمية استخدمتها أداة لربط تلك الجمهوريات بها كمنظمة التعاون الاقتصادي ورابطة الشعوب المتحدثة باللغة الفارسية، وتجمع الدول الناطقة باللغة التركية[١٨].واجهت تلك الجهود صعوبات نتيجة وعي قيادات الجمهوريات المستقلة بأهداف طهران وأنقرة، وبعد فترة قصيرة دخلت روسيا لعبة التنافس على مناطق آسيا الوسطى والقوقاز، وأدى تزامن هذا التحول مع تزايد الاهتمام الغربي بتلك المناطق، والذي ُترجم في إقناع دولها في الدخول في اتفاقيات الشراكة من أجل السلام مع حلف الناتو، والتي رآها البعض خطوة أولى نحو عضوية كاملة في الحلف، وهو ما يعكس مساعِ إستراتيجية غربية للوجود في المنطقة.ونلاحظ أن الولايات المتحدة تأتي في مقدمة الدول الغربية الحريصة على الوجود في آسيا الوسطى والقوقاز من خلال سياسة خارجية نشطة منذ سنة ١٩٩٧، والذي كان قبل ذلك نشاطًا محدودًا ومحصورًا يتمثل في السيطرة على بيع الأسلحة النووية، وخاصة في قازاخستان لدول ُتعد معادية للغرب كإيران، والعراق، وليبيا، وبعد النصف الثاني من التسعينيات شهد تحولا جذريًا في السياسة الأمريكية تجاه تلك الدول [19]. وكان لتفكك الاتحاد السوفيتي وظهور عدد من الدول على أنقاضه وراء ظهور قضية النفط في قزوين بتعقيداتها السياسية والاقتصادية،

والمشكلات المتعلقة بها التي شغلت الدوائر السياسية والاقتصادية في العالم، ويسعى الدكتور" فوزي درويش "في كتابه" التنافس الدولي على الطاقة في بحر قزوين " إلى استجلاء مصادر الطاقة في هذه المنطقة وبيان الأوضاع الجيوبوليتكية فيه ...كما يقول في مقدمة كتابه.

لقد استقلت سنة ١٩٩١ ست جمهوريات إسلامية كانت جزءًا من الاتحاد السوفيتي السابق منها كازخستان وأذربيجان وتركمستان، وهي الجمهوريات المحيطة مباشرة ببحر قزوين، ويتحكم في تطور وتنمية مشروعات نفط قزوين حسبما يرى المؤلف عدد من العوامل على رأسها حالة عدم اليقين التي تتسم بها أسعار النفط عمومًا، والتذبذب الملحوظ في الأسعار صعودًا ونزولا، وهي تشكل تحديا كبيرًا سواء بالنسبة إلى تطوير الآبار أو تشجيع مد خطوط الأنابيب.وقد شهدت منطقة قزوين خلال تسعينات القرن الماضي تجاذب وصراعات دولية معقدة فيما يتعلق بصناعة النفط والثروة النفطية التي تم اكتشافها، وكانت الشركات الأمريكية والروسية والبريطانية هي الأطراف التي خاضت تنافسا حادًا بدعم من دولها التي تسعى إلى تحقيق مصالح سياسية واقتصادية في تلك المنطقة، وبرز على سطح الأحداث السياسية في العالم اليوم مشكلة التنافس على منطقة بحر الذهب – بحر قزوين، وهذه المشكلة ليست وليدة اليوم، ولكنها قديمة حديثة، حيث بدأت تظهر هذه المشكلة على مسرح الحياة السياسية في الثمانينيات من العقد الماضي، وكما أشرنا تقع منطقة بحر قزوين شمال غرب آسيا على مسافة تمتد نحو ١٢٠٠ كم بمساحة تقدر بحوالي ٣٧٠ ألف كيلو متر، وتحظي بأهمية جيواستراتيجية واقتصادية مهمة، نظرًا لما تتمتع به من ثروات نفطية ضخمة لفتت إليها أنظار القوى العالمية والإقليمية في بداية الثمانيات، وبصفة خاصة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي في العقد الأخير من القرن الماضي، وأصبح بحر قزوين بحيرة تتقاسمها خمس دول هي)إيران–روسيا – كازخستان –تركمنستان– أذربيجان (تختلف فيما بينها حول الأساس القانوني لتقسيم ثرواته ، وقد أتاح النفوذ الأمريكي والتغلغل في المنطقة إلى المزيد من التنافس والصراع وعدم الاستقرار، وأن استمرار الاختلاف بين الدول الخمس المطلة على بحر قزوين حول الآلية المثلى لتقسيم ثروات البحر هو ما يمكن توضيحه من خلال معرفة مواقف الدول المتشاطئة لبحر قزوين وهي كما يلي[٢٠]:

١) **روسيا** : مازالت متمسكة بمعاهدة حسن الجوار التي تم إبرامها بين إيران والاتحاد السوفيتي سنة ١٩٢١ ، وكذلك الاتفاقية التجارية المبرمة سنة ١٩٤٠ ، كما تؤكد تقسيم مسطح البحر على أساس خط المنتصف وبفواصل متساوية، والاستفادة من البحر على أساس المشاع، أي أن العمل في قطاعات الصيد والنقل والبيئة وغيرها يمكن أن يتم بصورة مشتركة[٢١].

٢) **أذربيجان** :تطالب هذه الدولة بتقسيم كامل البحر على أساس خط المنتصف، وبموجب هذا التقسيم سيكون لكل دولة السلطة الكاملة على مياهيها الإقليمية.

٣) **تركمنستان** :تتمسك هذه الدولة بتقسيم سطح البحر الذي يبلغ ١٥ ميلا بغرض الاستفادة من الثروات التي يتمتع بها.

٤) **كازاخستان** :اهتمت كازاخستان بإبرام اتفاقيات ثنائية مع الدول المطلة على بحر قزوين بغرض تحديد الحدود المشتركة والاستفادة المشتركة من البحر، ولذا عقدت اتفاقيتين مع كل من روسيا وأذربيجان.

٥) **إيران** :منذ تفكك الاتحاد السوفيتي، وإيران تدعو إلى تبني النظام القانوني القائم على المشاع لتقسيم ثروات بحر قزوين ولكنها في النهاية رضيت بتقسيم متساوٍ لبحر قزوين، بمعنى أن كل دولة تحصل على ٢٠ % من ثروات البحر.

اطراف الصراع في دول بحر قزوين.

بعد الحرب الأمريكية على أفغانستان والتي صارت حربًا أطلسية نصبت صواريخ أمريكية في عدد من جمهوريات آسيا الوسطى على حدود روسيا الجنوبية، وعلى حدود الصين الغربية في كازاخستان، وهذا مايدل على أن الحرب على الإرهاب هو عنوان رئيسي باطنه عناوين فرعية لها مضمون استراتيجي هو محاصرة روسيا والصين، والاقتراب من إيران والهند، والسيطرة على طريق النفط[٢٢]وبعد الحرب على العراق اتسعت دائرة الحصار مع توسع القواعد الأمريكية في الخليج العربي والاحتلال المباشر للعراق على حدود إيران وسوريا وتركيا والسعودية، وفي هذه الأثناء كانت مشاريع حلف الأطلسي تتبنى إستراتيجية التوسع شرقًا نحو أوربا الوسطى والشرقية، وكأن الأطلسي صار بديلا عن الأمم المتحدة في حفظ السلام والأمن من سراييفو إلى كوسوفو إلى أفغانستان وهو الذي يتطلع نحو الشرق الأوسط في مناوراته وتدريباته العسكري في العراق واعتماده على مواني بحرية إسرائيلية في شرق البحر المتوسط، وفي المقابل تمسكت موسكو بسياستها الأمنية في جورجيا وأوكرانيا، حيث إمكانية الاختراق الأمريكي تحت عنوان الانتخابات والديمقراطية، وقام الرئيس الروسي بوتين بمبادرات مهمة لفك الحصار المفروض على روسيا، بعقد اتفاقيات استراتيجية مع الصين، وإلى سبل تعزيز المصالح التجارية مع الهند وإيران، ثم الانفتاح الملحوظ على السعودية، هذا فضلا عن تمسكه بصيغة كومنولث للدول المستقلة الجمهوريات السوفيتية السابقة تحت عنوان" الأمن

الإستراتيجي"، باستثناء جمهوريات البلطيق[٢٣] ، وتتنافس على مصادر الطاقة في دول قزوين كل من امريكا، أوربا، روسيا، والصين على الصعيد الدولي، واما على الصعيد الاقليلي تتنافس كل من إيران وتركيا، ثم تأتي في الدرجة الثالثة الدول النفطية ذاتها، والدول المجاورة لها كمعابر ، ويكمن التنافس بينهم من خلال الشركات الفطية ومشاريع الأنابيب، وهي مشاريع ستضفي حتما لانتصار أي منهما، وتحديد الدول المسيطرة في هذا المجال، والتي سترسم إلى ملامح النظام الدولي بعد عدة عقود[٢٤].يقوم الصراع أساسا حول ثروات بحر قزوين بما يمتلكه من ثروات استراتيجية تأتي في مقدمتها النفط والغاز، الامر الذي قد يحول التنافس فيها الصراع، فبالاضافة الى الدول المتشاطئة الخمس على ذلك البحر المغلق تدخل دول أخرى من خارج المنطقة لتعقد مصالح اقتصادية وسياسية مع تلك الدول من جهة، وتغذي خلافاتها من جهة أخرى بصورة تضمن مصالحها في بحر قزوين وآسيا الوسطى والقوقاز كلها، وتعد امريكا وتركيا أهم تلك الأطراف، بالإضافة الى الدول التي تعاني نقص حاد في مصادر الطاقة الاوربية مثلا.وبالرغم من تفاوت الاحصائيات الخاصة بمخزون الطاقة في دول بحر قزوين، الا تلك المنطقة تضربها عدة مشكلات تاتي في مقدمتها الاضطراب السياسي، الامر الذي يولد اعاقة لعملية توصيل الطاقة من قزوين إلى الأسواق العالمية، ومن اهم هذه المشكلات عدم وصول الدول المتشاطئة الى تعريف موحد لقزوين، مما يترتب تؤاجع الشركات النفطية عنها والاتجاه صوب دول نفطية اخرى مثل فنزويلا وبحر الشمال، وبالاضافة الى المشكلات السياسية توجد هنالك مشكلات عرقية بين تك الدول.ونجد ذلك في فشل تلك الدول بايجاد صيغة موحدة لقزوين[٢٥].هكذا يمكن القول ان أحد معوقات استثمار مصادر الطاقة في قزوين هي النقل، اذ يعد النقل مشكلة سياسية مثلما هو مشكلة اقتصادية أيضًا ، إذ لابد من أن تمر مسارات التصدير أيًا كان اتجاهها عبر دول لا يمكن ضمان استقرارها ، ولهذا السبب يجب أن تكون المخاطر السياسية من القضايا الرئيسية التي تشغل المنتجين في المنطقة ، ويمكن أدراج بعض المصادر الرئيسية للمخاطر السياسية التي تواجه إنتاج النفط وتصديره من منطقة بحر قزوين:

١) **النزاع حول ناغورنو –كارباخ** :خاضت أذربيجان حربًا ضد أرمينيا خلال الفترة ١٩٩٤م، حول إقليم ناغورنو – كارباخ وهي منطقة مستقلة تقع داخل حدود – من ١٩٩١ أذربيجان، وخاضعة للسيطرة الأرمينية حتى الآن، ورغم وقف اطلاق النار منذ عام١٩٩٤م، لم تحرز جهود حفظ السلام من التقدم الملموس وتنامي تخوف أرمينيا وشعورها بالتهديد باعتبارها الطرف المستبعد من عوائد الازدهار النفطي في منطقة قزوين فلا يستبعد احتمالات تجدد هذا النزاع.

٢) **النزاع مع الشيشان وعدم الاستقرار في روسيا** :لم تنعم روسيا بقدر معقول من الاستقرار حيث تهدد الحرب في الشيشان بعدم الاستقرار في منطقة قزوين. السياسة الداخلية في منطقة القوقاز :رغم أن الدولتين الرئيسيتين في منطقة جنوبي القوقاز وهما أذربيجان وجورجيا لم تصلا إلى قدر كبير من الاستقرار، ونشاهد الحرب بين روسيا وجورجيا التي غيرت الكثير وأذنت ببدء مرحلة خطيرة ، أما أذربيجان لم تحقق الاستقرار الكافي منذ استقلالها[٢٦].

٣) **التنافس الجيوسياسي العام** :من أجل الفوز بالنفوذ في منطقة قزوين أخذت خطوط التورط في الصراع الجيوسياسي تميل نحو تبني تكوين كتلتين متضادتين تضم إحداهما تركيا وأذربيجان وجورجيا والولايات المتحدة الأمريكية من جانب، وتضم الأخرى روسيا وإيران وأرمينيا من الجانب الأخر وتحتل دول آسيا الوسطى موقعًا وسطًا، ولكن إقامة علاقة صلبة بين هذه الدول في إطار كتلتين واضحتين ما يزال الأمر صعبًا.

مواقف الاطراف المتنافسة في دول بحر قزوين.

أن القوى الاساسية المتنافسة في هذه المنطقة هي كل من روسيا وإيران وتركيا والولايات المتحدة:

١) **روسيا** : تعمل الحكومة الروسية إلى تأكيد حضورها وبقوة في دول بحر قزوين وذلك من مواجهة التحالف الأوربي الأمريكي، والذي صار واضحًا في مشاريع الدرع الصاروخي الأمريكي في أوربا الشرقية، ومن وجهة نظرها ان أفضل الطرق لموجهة تلك المشاريع هو بسط نفوذها على خطوط الانابيب الخاصة بتصدير الطاقة من دول قزوين، ويتجلى ذلك من خلال عقد اتفاقيات معها تضمن بواسطتها على الطاقة التي بحاجتها دول الاتحاد الاوربي. وبالفعل نجحت موسكو في ذلك عن طريق عقد اتفاقية مع تركمانستان لنقل الغاز منها عبر اراضيها الى العالم.[27].

٢) **إيران** : بالرغم من الامكانيات التي تتمتع بها إيران من موقع جيوسياسي مهم فهي لها اطلاله على بحر قزوين والخليج العربي معا، يمكنَّها من خلاله لعب دور إقليمي فاعل على مختلف الاصعدة ، إلا أنها مازالت تعاني بعض الانعكاسات السلبية ، ومنها بروز دولا مستقلة في المنطقة ذات توجهات مختلفة مع طهران، ويعدون أحدى مسببات مصادر عدم الاستقرار في الاقليم، فضلا عن الاحتلال

الأمريكي لافغانستان مما أدى إلى وجود عسكري أمريكي دائم في آسيا الوسطى والقوقاز، إلى جانب الارتباط الأمريكي بعدد من دول المنطقة سياسيًا واقتصاديًا والتي تختلف مع إيران في العديد من القضايا أهمها تخصيب اليورانيوم الأمر الذي يكرس الانخراط الأمريكي في المنطقة ويزيد أعباء السياسة الخارجية الإيرانية تجاه دولها، ويؤثر سلبًا على مصالحها الإستراتيجية في بحر قزوين خاصة في ظل الخلاف بين الدول المتشاطئة في بحر قزوين على التقسيم القانوني للثروات واتجاهها إلى تفضيل صيغ التعاون الثنائي والثلاثي على صيغ العمل الجماعي الموحد ردًا على الموقف الإيراني من التقسيم، مما يفرض عليها ضرورة إيجاد صيغة للاتفاق مع دول بحر قزوين الأربع الأخرى حفاظًا على مصالحها. وفي الحقيقة تعتبر إيران منطقة بحر قزوين مجالا حيويًا تتبلور فيه مصالحها الاقتصادية والسياسية خاصة فيما يتعلق بثروات بحر قزوين ومحالة الاستثمار بنقل النفطعبر أراضيها للمياه الدولية نجد أن واشنطن تعارض بشدة هذا الدور بل وتعمل على تقويضه في محاولة لعزل إيران، وذلك من خلال نشر قواتها العسكرية في أزبكيستان وطاجيكستان وتكوين شبكة من الدول الصديقة التي تحيط بإيران، ومحاولة إيجاد صيغ للتفاهم مع روسيا وإقامة علاقات ايجابية مع جورجيا وذلك بهدف تعويض التوتر في العلاقات مع إيران وسد ثغرات النفوذ الصيني إلى منطقة بحر قزوين، خاصة بعد التقارب الواضح في العلاقات الإيرانية الصينية ورفضها المحاولات الأمريكية الرامية إلى السيطرة على آسيا الوسطى وبحر قزوين[٢٨].

٣) **الولايات المتحدة الامريكية :** حسب اعتقاد المستشار الأمريكي الأسبق بريجنسكي فإن الولايات المتحدة الأمريكية على إدراك كامل بما يسمونه معضلة الاعتماد على الخارج بالنسبة لمصادر الطاقة فإن الشركات النفطية ظلت منذ تاريخ تفكك الاتحاد السوفيتي القوة الفاعلة المهيمنة على دول بحر قزوين، اذ تجد بها مصدر مهم الذي يمكنها أن تحقق فيه أكثر من مجرد الأمن للطاقة بالنسبة لإمداداتها المستقبلية سواء كان ذلك للنفط أو الغاز، بالاضافة الى امكانية تحقيق مكاسب إستراتيجية اخرى تستطيع من خلالها ان تمارس درجة من التحكم لضمان إيصال الطاقة للدول المستوردة الأخرى مثل اليابان ودول الاتحاد الاوربي[٢٩]، حتى تغدو عالميا هي المؤمنة للطاقة، ويمكن تلخيص الأهداف الأمريكية إزاء منطقةبحر قزوين في النقاط التالية:

- العمل على وضع العقبات امام الهيمنة الروسية على الطاقة، لكونها توفر لموسكو موارد تمكنها من تطوير ذاتها.
- السعي دون ان تكون روسيا إلمزود المباشر والرئيسي للطاقة إلى الدول الاوربية.
- تعسى الادارة الامريكية ان يكون تدفق الطاقة من دول بحر قزوين إلى العالم من خلالها.
- تخفيض أسعار النفط إلى حد لا يضر بمصالح الشركات الدولية.
- إيجاد توازن بين دول بحر قزوين ودول الخليج العربي، ويرجع ذلك لافراغ دول الخليج العربي من مكانته الاستراتيجية.

أقامت وزارة الدفاع في عهد الرئيس الأمريكي السابق كلينتون علاقات متعددة مع عدة دول (أذربيجان وجورجيا وكازاخستان وقرغيزستان وأوزبكستان)، كما بدأت بتأمين السلاح والتدريب لها ، من اجل توفير غطاء لقواتها المتواجدة في تلك الدول، فضلا تأمين مصادر الطاقة من تدخل الآخرين إذا اقتضت الضرورة[30].

حرب الانابيب في دول بحر قزوين.

تضاعفت المخططات الامريكية تجاه دول بحر قزوين بعد سنة ٢٠٠١م، فقامت الادارة الامريكية انذاك بدمج عدة اهداف بهدف واحد، فاعلنت هدف محاربة التطرف وحماية مصادر الطاقة معا، فكانت دول بحر قزوين من اولى الاهداف الأمريكية، فأنشأت بها قواعد عسكرية مؤقتة ودائمة[٣١]. والذي يعد نصرًا إستراتيجيًا لواشنطن.

كما طرحت الادارة الامريكية استراتيجية جديدة للطاقة، وتقوم هذه الإستراتيجية على ثلاثة مبادئ وهي[32]:

١) ضرورة ايجاد مصادر متعددة للطاقة، فبدلا من الاعتماد على النفط العربي، أصبح هناك نفط دول بحر قزوين.

٢) تعدد طرق النقل وخطوط الإمداد فلا يكفي تعدد المصادر، بل تعدد المسارات لتقليل احتمال تعرضها للخطر.

٣) الحصول على النفط بأقل الأسعار.

هكذا تتنافس الدول لجعل اراضيها هي الممر الرئيسي لتصدر الطاقة من دول بحر قزوين من اجل الحصول على عواد مادية وسياسية اكبر. ومن أهم الدول المتنافسة روسيا وتركيا وإيران وأفغانستان، ويكون ذلك عبر الخطوط المقترحة لذلك. هي:

أولا: عن طريق روسيا.

١) **خط اتيراو – سمار** : كان يوجد خط واحد رئيسي ابان الحقبة السوفيتية يعمل على نقل الطاقة من كازاخستان إلى روسيا،[33] والتي تحتوي الاخيرة على شبكة واسعة من خطوط النقل تعمل من خلالها على نقل الطاقة الى العالم.

اما عن الحال بعد تفكك الاتحاد عمدت موسكو الى تنفيذ استراتيجية جديدة تقوم على:

أ) حث كازاخستان على زيادة مقدار النفط الذي تصدره خلال ها الخط[٣٤].

ب) قيام كازاخستان برفع القدرة التصديرية لها عبر هذا الخط[٣٥].

٢) **خط باكو–نوفار ايسيسك** : يقع ميناء نوفار ايسيسك الروسي على البحر الأسود ، ويعد محطة شمالية لمجموعة خطوط النقل الروسية، ويتم من خلاله تصدير نفط أذربيجان بطاقة استيعابية ٤٠ ألف برميل باليوم الواحد.

اما عن مسار هذا الخط فيبا من العاصمة الاذرية ومرورا بكل من الشيشان وداغستان وصولا للميناء الروسي، ومن الجدير بالذكر ان خط النقل هذا لا يعمل بكامل طاقته التصديرية، بسبب وجود عدة معوقات اهمها:

أ) أسعار النفط، اذ نلاحظ عدم وصول الدول المشتركة به الى وضع تعريفه محددة للمرور.

ب) الاوضاع في الشيشان، ومايرافقها من عمليات تخريبية تطال الخط، بالاضافة الى سرقة النفط خلال مروره في الشيشان.

ج) إعلان العمليات العسكرية في الشيشان.

٣) **خط تنجيز – نوفارايسيسك** يقوم : ينقل النفط من تنجيز غرب كازاخستان إلى **ميناء نوفار ايسيسك. عن طريقين الاول** عبر خط سككة الحديد بنسبة ٧٠ % ، وعبر خط أنابيب أتيراو– سمارا بنسبة ٣٠ % ، الامر الذي ولد لدى كازاخستان على ضرورة زيادة صادراتها عن طريق انشاء خط أنابيب من تنجيز – نوفارأيسيسك شمال منطقة القوقاز، وتبلغ طاقته الأولية نحو (٦٠٠) ألف برميل يوميًا.

ومن المؤمل ان يحقق هذا الخط على مدى أربعين عامًا عائدًا مقداره ١٥٠مليار دولار لكل من كازاخستان وروسيا، ولم يكن ذلك هو السبب الرئيسي لها لانشاء هذا الخط، وانما جاء ذلك بعد اشارة الحكومة التركية عنرغبتها برفع رسوم المروم عبر مضيق البسفور. بالتالي اشرع على انشاءه.

٤) **بحر قزوين – البحر البلطيقي** : بامكان موسكو ان تصبح بوابة لتصدير نفط بحر دول بحر قزوين عبر أراضيها، وذلك بربط المنطقة بشبكة أنابيبها الواصلة إلى الأسواق العالمية من خلال موقعها، ومن الجدير بالذكر ان لدى موسكو عدة نماذج ناجحة في ذلك [٣٦].

٥) **خط الأنابيب روسيا–بلغاريا–اليونان** : اتجهت روسيا بالتعاون مع اليونان وبلغاريا نحو الشروع إلى مد خط أنابيب نوفار ايسيسك – بورجس– اليكساندريوليس، والهدف من هذا المشروع هو تطويق البسفور والدردنيل، ومن ثم التخلص من القيود التي تفرضها تركيا . وتؤكد الاطراف المشتركة في هذا الخط على انه سيحقق مكاسب كبيرة، ويكون ذلك بخفض رسوم النقل بحوالي ١٠ مرات مقارنة بتديره عبر تركيا.

ثانيا: عبر جورجيا.

تمتاز جورجيا بموقع جغرافي مهم، فهي تعد حلقة وصل بين الدول المصدرة للنفط والسوق العالمي، ويكون ذلك عن طريق اطلالتها الساحلية على البحر الاسود. كما تمتلك جورجيا مقومات لربط الدول المنتجة للنفط بالعالم، مثال على ذلك انشاء خط لنقل النفط من باكو الى باتومي، بالاضافة الى امكانية نقل النفط الاذري عبر جورجيا عن طريق خطوط سكة الحديد[٣٧].

ثالثا: عبر تركيا.

حصل اتفاق سنة ١٩٩٩، بين كل من جورجيا وأذربيجان وتركيا على انشاء خط بطول (١٧٠٠) كم، ينقل نفط اذربيجان، يمر بجورجيا، وينتهي في جيهان التركية.

وهنالك عدة نقاط تثير الجدل حول هذا الخط اهمها:

١) كما هو معلوم ان الاراضي التركية وعرة، الامر الذي يتطلب وجود تقنية الدفع المستمر، مما يؤدي الى زيادة كلفة التصدير.

٢) ان الخط يمر بشرق تركيا، اي محل تواجد حزب العمال الكردستاني الذي يطمح للاستقلال عن تركيا، مما قد يجعلهم يستخدموه كورقة تفاوضية مع انقرة.

رابعا: عبر إيران.

تؤكد ايران على طرح مسالة ان تصدير نفط دول بحر قزوين يكون عبر اراضيها، بوقت اقصر، وبتكلفة اقل، وخاصة الى الدول الاسيوية، ويكون نقل نفط قزوين عن طريقين:

١) عبر الخليج العربي.

– يكون ذلك عن طريق انشاء خط طوله (١٥٥) كم يبدا من تنجيز – انزيلي – تبريز بطول، وبمقدرة تصديرية تقدر بمليون برميل باليوم الواحد، فضلا عن امكانية ان تقوم اذربيجان بتصدير النفط عبر هذا الخط، اذ تستطيع ان تصدر ما بين (٣٠٠ – ٤٠٠) الف برميل باليوم الواحد.

٢) بالنقل التبادلي:

اي ان تقوم إيران باخذ نفط خام من دول بحر قزوين[٣٨]، عبر موانئها المطلة على هذا البحر، ومن ثم ارسال هذه الكمايات من النفط الى مصافيها الواقعة في الشمال، ومن بعدها تقوم بضخ كميات مساوية للنفط المستلم من هذه الدول الى موانها في الخليج العربي، بصورة نفط خام، ليتم تصديره الى السوق العالمي[39].

المطلب الرابع انعكاس التنافس الدولي على مصادر الطاقة على الدول العربي

من المؤكد بان الصراع الدولي في هذه المنطقة الحيوية من العالم لها أثار على اسعار النفط سواء بالأرتفاع أو الأنخفاض وبالتالي لهذا دور مباشر وأنعكاس على أسعار النفط في النطقة العربية، بمعنى أن الصراع في هذه المنطقة له تداعيات وأنعكاسات على المنطقة العربية سياسيًا وأقتصاديا.كما هو معلوم أن العمليات العسكرية التي دارت في جورجيا قد اثرت على شبكة الانابيب بصورها المختلفة التي تنقل الطاقة من دول بحر قزوين ، وبالتالي تؤثر على مستقبل نفط تلك المنطقة هذا من جانب.اما من الجانب الاخر، ان تصاعد حدة الصراع فيها يؤدي الى لجوء التنافس على دول الخليج العرب ، ذلك أن هيمنة روسيا على ما يزيد عن ثلث احتياطيات النفط والغاز في العالم سوف يدفع الغرب إلى التفكير المعقد في توفير بدائل محددة، ومن ثم اصرار الولايات المتحدة من هيمنتها على الخليج العربي وما يترتب على ذلك من تأثير على موقفها الرافض للتسلح النووي الإيراني والتمسك بالوجود العسكري الأمريكي في العراق وهو الأمر الذي سيتعارض مع المصالح العربية، بل والتوجه لبناء مفاعلات نووية عربية للحصول على طاقة إضافية بديلة إذا مانشبت حرب في المنطقة بسبب الصراع على الطاقة أو بسبب إصرار إيران على المضي قدمًا في برنامجها النووي على غير إرادة المجتمع الدولي. يعد النفط والغاز المصدر الأول للدخل في الوطن العربي وخاصة في دول الخليج العربي، لذا فهو بحاجة إلى إستراتيجية للتعامل مع المنطقة القائمة على وعي معرفي دقيق بإمكاناتها وكذلك احتياجاتها وبأبعاد اللعبة الدولية حولها، وكذلك بمستقبل موقعنا في أسواق الطاقة، فقد كانت دول الخليج في مقدمة الدول التي رحبت باستقلال الجمهوريات الإسلامية واعترفت بها وبادرت بمساعدتها خاصة في الميادين الثقافية، ولكن بعد بدء الحديث عن أن المنطقة سُتصبح خلال سنوات أحد المصدرين الأساسين للطاقة وأصاب موقف دول الخليج تجاه الجمهوريات حالة من الغموض والتردد، ولعل ذلك يعكس القلق الدائم حول افتقاد الخليج لمكانته في أسواق الطاقة. ولكن وبعد أن أكدت الدراسات بعدم وجود بديل عن الخليج كمصدر للطاقة في العالم، وذلك بسبب حجم ثرواته الكبيرة وسهولة الوصول إليها وانخفاض تكلفة إنتاجها،

ونحن بحاجة إلى إعادة النظر في موقفنا من الجمهوريات المستقلة والبحث في إمكانية التعاون معها في تنسيق سياسات الإنتاج والأسعار انطلاقًا من حقيقة أن ما يقارب نصف ثروات العالم تحتويه أراض إسلامية، ولذلك نرى ضرورة تبني سياسة عربية نشطة اتجاه منطقة بحر قزوين ترتكز على المصالح الاقتصادية المشتركة في ظل التحولات الكبيرة التي يشهدها الاقتصاد الدولي.

إن اكتشاف النفط والغاز في بحر قزوين يعتبر دافعًا لدول الخليج على التخلصمن حالة القلق الدائمة التي تعيشها بسبب الاعتماد على تصدير النفط والغاز بوصفهما موردًا أوليًا للدخل وذلك من خلال تبني إستراتيجية اقتصادية تستند إلى رؤية عصرية للموارد الطبيعية والبشرية وكذلك للتنمية الشاملة.

الخاتمة

خلاصة الموضوع والنتائج التي توصلت اليها أن روسيا تمكنت من استعادة دورها السياسي والامني والاقتصادي، ولن تعطي المجال لاي قوة ان تتدخل حديقتها الخلفية، كما فعلت في جورجيا، والتي من نتائجها تجاوز الهيمنة الاحادية الامريكية، وأذنت بنهاية عصر القطب الواحد وأن هذه التطورات أبرزت سؤال حول طبيعة الدور الروسي الجديد في منطقة القوقاز والذي سيعتمد بالضرورة على طبيعة العلاقات المستقبلية الأمريكية – الروسية، فإذا انحدرت هذه العلاقات نحو الأسوء في ظل إدارة أمريكية متشددة ستعود القوتان إلى مجابهات الحرب الباردة في أوربا الوسطى وآسيا الوسطى والشرق الأوسط ومناطق أخرى، وستعاني المنطقة من موجة إضافية من التوترات وتصعيد المجابهات والعكس صحيح إذا نجحت الإدارة الجديدة في عهد الرئيس الأمريكي أوباما بإقامة شراكة جديدة مع روسيا

قد يسهم في معاجلة الكثير من الأمور منها قضية التوسع نحو الشرق لحلف) الناتو وسباق التسلح. وخلال كتابة الكلمات الأخيرة لهذه الرسالة حدث تطور يثبت صحة ماتوقعناه من أن التطورات في هذه المنطقة) القوقاز من الممكن أن تعيد القوى الكبرى حساباتها تجاهها، فها نرى ، تعيد الولايات المتحدة النظر في نشر الدرع الصاروخي في شرق أوربا بحجة أن الصواريخ الإيرانية لاتشكل تهديدًا للغرب، حيث أنها الغت هذا المشروع في الوقت الحاضر أو جمدت نشره الى سنة ٢٠١٥. وهذا مما بعث أرتياحًا لدى القيادة الروسية والتي كانت ترى من أن هذا الدرع الصاروخي هو مخصص ضدها.

ومن خلال هذه الدراسة تم التوصل الى عدة استنتاجات وتوصيات كان اهما:

الاستنتاجات:

١)قيام حرب باردة جديدة بين الولايات المتحدة الامريكية وروسيا، لكن هذه المرة ليست حرب النجوم، وانما حرب الانابيب.

٢) فقر التواجد العربي في دول هذا الاقليم خاصة، وان الدول العربية لها امتدادات ثقافية ودينية واسعة فيه، لكنها لم تتمكن من استغلال هذه المميزات لصالحها وتكوين اكبر تحالف نفطي اسلامي، مثلما ضيعت الفرصة ايضاً في دول اسيا الوسطى لصالح (اسرائيل).

التوصيات:

١)يجب على دول هذه المنطقة العمل على التخلص من التبعية الخارجية المتمثلة في التدخل الروسي الامريكي فيها.

٢)ضرورة ادارك الدول العربية ان هنالك قواسم مشتركة مع هذه الدول والعمل على الاستفادة منها في تطوير واقعها بشتى المجالات.

هوامش البحث

[١] المسعودي ، مروج الذهب ، الطبعة الأولى ،بيروت ١٩٦٥ ، ص ٢.

[2] صالح محمد الخثلان، الصراع على قزوين ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، المملكة العربية السعودية، الرياض، ٢٠٠٠ ، ص٩.

[3] صالح محمد الخثلان، الصراع على قزوين ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، المملكة العربية السعودية، الرياض، ٢٠٠٠ ، ص٩.

[4] هنري لورنس ، اللعبة الكبرى ،طبعة ١،ترجمة عبد الكريم الاربد،دار الجماهيرية للنشر، ليبيا، ١٩٩٣ ، ص٨٣.

[5] لورنت روسكاس ، مصادر الطاقة في بحر قزوين ،تنمية نفط بحر قزوين مركز الإمارات للدراسات،أبو ظبي ، ٢٠٠١، ص٢٣.

[٦] عاطف معتمد عبد الحميد– قزوين معلومات أساسية – إسلام أون لاين

[7] نورهان الشيخ ،روسيا وأزمة أوسيتيا الجنوبية ....توازن جديد للقوى الدولية، السياسة الدولية ، مؤسسة(الأهرام، العدد، ١٧٤ اكتوبر ٢٠٠٨ ، ص٢٠٤.

[٨] نورهان الشيخ، مصدر سابق، ص٢٠٦.

[٩] اذ تعمل كل دولة إلى أن تكون أراضيها معبرًا للنفط والغاز وذلك للحصول على رسوم العبور.

[١٠] هما يمكن القول ان الدول المتنافسة الى مد خطوط الانابيب في ارضيها تعمل من اجل ممارسة النفوذ على دول قزوين

[١١] نورهان الشيخ ،مصدر سابق، ص٢٠٧.

[١٢] وهذا ماحدث بالفعل فقدنشات عدة حروب وازمات من اجل السيطرة على منابع الطاقة العراق مثلا.،

[١٣] صحيفة المدى، لعبة الدم والنفط في أسيا، السنة الأولى، العدد ٨ في ٢٠١٤.

[١٤] رائد جبر – وثيقة حددت إستراتيجية الأمن القومي الروسي حتى ٢٠٢٠ – دار الحياة موسكو، ص٢٣.

[١٥] نورهان الشيخ، مصدر سابق، ص٢٠١٧.

[١٦]. أيمن علي – هل تستغني أوربا عن طاقة روسيا – شبكة الاخبار العربية، بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الرابط:

www.arabnewsnetwork

[١٧] محمد الحلو، الإستراتيجية الكبرى للغاز الطبيعي الأوربي، النهضة للنشر، بيروت، ٢٠١٦، ص٤٥.

[١٨] حميد حمد السعدون ،

[19] فوزي درويش، التنافس الدولي على الطاقة في قزوين ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي ٢٠٠٥ ص٣٤.

[٢٠] عماد فكري ، التنافس على منطقة بحر قزوين، بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الرابط:

hptt\\:www.albasheer/show

[٢١] سيد مصطفى كاظمي – المساعي الإيرانية في بحر قزوين، بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الرابط:

www.albainah.net

[٢٢] اسرار الصراع على بحر قزوين، صحيفة الخليج الإماراتية ، العدد ٩٥٥٩

[٢٣] هذه الدول استونيا ولاتفيا وليتوانيا

[٢٤] سيد مصطفى كاظمي – المساعي الإيرانية في بحر قزوين، العروبة للنشر، القاهرة، ٢٠١٥، ص٤٣.

[٢٥] كان ذلك الفشل خلال الاجتماع الدوري التاسع للدول المتشاطئة حول قزوين. للمزيد انظر: لورنت روسكس، تنمية نفط بحر قزوين– مصادر الطاقة في بحر قزوين ، الانعكاسات على منطقة الخليج العرب، دار الفكر الجديد، الاسكندرية، الطبعة الأولى ٢٠٠١ ص ٣٣

[٢٦] محمد رجب، أوضاع العالم على مشارف القرن الحادي والعشرين، العروبة للنشر، القاهرة، ١٩٩٨ ، ص٤٣٥.

[27] علي نعيم الخويطر والدكتور نبل جعفر ، الأهمية الاقتصادية الدولية لنفط بحر قزوين ،جامعة البصرة، دون تاريخ، ص٣.

[٢٨] لورنت روسكس،تنمية نفط بحر قزوين، مصدر سابق، ص٣٥.

[٢٩] تفتقر هذه الدول للطاقة لتطوير صناعتها حتى أضحى ذلك مرهون بالولايات المتحدة الامريكية من اجل تلبية احتياجاتها من الطاقة،

[30] محمد ختاوي – حرب القوقاز والصراع النفطي صحيفة المثقف العدد ١٢٢١.

[٣١] انشات في أوزبكستان قواعد مؤقتة، و في قرغيزستان قواعد دائمة

[32] بسمة ماجد، الرؤية الامريكي للهيمنة على منابع الطاقة ، بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الرابط:

htpp\\:www.alsharqalarabi.org.nt

[33] كان هذا الخط يعمل بطاقة استيعابية تقدر بحوالي (٢٠٠) الف برميل يوميا.

[٣٤] ومن اجل انجاح ذلك قامت موسكو بتشجيع كازاخستان عن طريق تقديم تسهيلات واسعة لها كان اهمها تقليل رسوم المرور.

[٣٥] اذ زادت من انتاجها بواقع (١٠٠) برميل يوميا، حيث اصبحت تصدر عبر هذا الخط (٣٠٠) برميل يوميا، الامر الذي ادى الى زيادة في الناتج القومي لها. للمزيد انظر: حميد حمد السعدون، مصدر سابق، ص٨٣.

[٣٦] عاطف معتمد عبد الحميد– حرب الأنابيب في بحر قزوين، مجلة شؤون الخليج، العدد٣٤، ٢٠١٥، ص٤٢.

[٣٧] وتكون الطاقة الاستيعابية لهذه الخطوط بواقع (١٠٠) برميل يوميا، و(٦٠٠) برميل يوميا على التوالي، وبرسوم مخفضة بوايق (١٨) سنتا للبرميل الواحد.

[٣٨] نقصد هنا كل من (اذربيجان، تركمانستان، كازاخستان).

[39] عاطف معتمد عبد الحميد، مصدر سابق، ص٣٤.